## المبحث الثالث

## صورة الأنبياء بين القرآن والتوراة

لا ريب أن الفرق كبير، والبون شاسع بين ما يرسمه لنا القرآن من صورة واقعية ومثالية للنبوة تصلح أن تكون أسوة حسنة للإنسانية، وما ورد في التوراة من أوصاف للأنبياء تنال من ساحتهم، وتبرر لغيرهم ارتكاب المعاصي بل الفواحش.

**صورة أيوب في القرآن:**

فضلاً عن أن أيوب هو نبي موحى إليه من السماء، فإن القرآن قد أضاف إليه أوصافًا كريمة يأتي في مقدمتها صفة الصبر، تلك الصفة التي لم يشتهر أحد كأيوب بمثلها حتى إنها التصقت به، وجرت على ألسنة الناس مجرى المثل فقيل صبر أيوب.

وقد ذكر ابن عباس أنه سمى أيوب؛ لأنه آب (رجع) إلى الله في كل أحواله[1].

وإذا أردنا الإشارة إلى بعض صفات أيوب، كما قررها القرآن فنرى من أهمها:

**أيوب هو الجزاء الحسن لجده إبراهيم:**

إذا كان الله تعالى يجزي العبد بأفضل مما يفعل، وإذا كان أعلى درجات الإيمان هو الإحسان؛ ومن ثم فإن جزاء هذا الإحسان في الدنيا والآخرة سيكون عظيمًا، فإن أيوب كان جزاء إحسان جده إبراهيم، فالذرية الصالحة التي خصها الله بالنبوة هي

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط٥ - ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م - م٦ - ج١١ - ص٢١٤.

خير جزاء للعبد[١]؛ لأن العبد إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث منها الولد الصالح الذي يدعو له، فيقول عز وجل عن إبراهيم: **﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا، ونوحًا هدينا من قبل، ومن ذريته داوود وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وكذلك نجزي المحسنين﴾**[٢].

**أيوب مستجاب الدعوة:**

كان أيوب يدعو ربه أن يشفيه مما ألم به من مرض عضال حتى امتلأ جسمه دودًا، وتناثر لحمه[٣]، ولم يخيب الله دعاء أيوب بل استجاب له سريعًا؛ لأن الآية قدمت الإجابة بحرف الفاء الذي يدل على السرعة، فبمجرد أن لمس أيوب الماء حتى تناثرت عنه الديدان، ولما غاص في الماء نبت لحمه مرة أخرى، وكان أولاده قد ماتوا إلا امرأته فأحياهم الله عز وجل في أقل من لمح البصر ومثلهم معهم، فيقول تعالى: **﴿وأيوب إذ نادى ربه أنى مسني الضر وأنت أرحم الراحمين، فاستجبنا له، فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾**[٤].

**أيوب الصابر الأواب:**

أمام جميع هذه الابتلاءات التي كانت قد أصابت أيوب لدرجة أن الديدان قد أكلت من لحمه فإنه لم ييأس، وصبر ودعا الله فاستحق المدح الإلهي لصبره، فقال

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) - دار الفكر - بيروت - ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م - م٥ - ج٧ - ص٣٣٩.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٨٤ .

(٣) جامع البيان: م٦ - ج١١ - ص٢١٤ .

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٨٣، ٨٤ .

تعالى عن أيوب: ﴿**إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب**﴾[١].

بعد هذه الصورة المشرقة لأيوب كما وردت في القرآن ننقل صورته كما جاءت في التوراة:

**صورة أيوب في التوراة:**

إن علاقة أيوب بربه كانت متوترة، ويمكننا إجمال مظاهر هذا التوتر فيما يلي:

**الله يتحرش بأيوب:**

لقد اتهم أيوب ربه بأنه قصد أن يتحرش به، ويجعله مذنبًا، ويوقعه في الخطيئة رغم أنه بريء من كل هذا، ويظهر ذلك في عتاب أيوب العنيف، وتبكيته لربه حين يقول: (لماذا تحجب وجهك وتحسبني عدوا لك)[٢] ثم يعاتب ربه أيضًا (تبحث عن إثمي، وتفتش على خطيتي)[٣].

**الله يذل أيوب:**

كان أكثر ما يؤثر على نفسية أيوب هو شعوره أن الله يقصد من وراء كل هذا العذاب الذي يعانيه هو إذلاله، وهذا الشعور المر يتضح في وصفه لحالته المتدنية (أزال عني كرامتي ونزع تاج رأسي هدمني من كل جهة فذهبت، وقلع مثل شجرة رجائي، وأضرم عليَّ غضبه، وحسبني كأعدائه...)[٤].

---

(١) سورة ص، آية: ٤٤.

(٢) سفر أيوب - فصل ١٣ - عدد ٢٤ .

(٣) سفر أيوب - فصل ١٠ - عدد ٦ .

(٤) سفر أيوب - فصل ١٩ - عدد ٩ ، ١٠ ، ١١ .

**الله يضطهد أيوب ويقهره:**

تجلى إذلال أيوب في اضطهاده من قبل ربه، وقهره، كما جعل الناس يبغضونه لدرجة أنهم بسقوا على وجهه (يكرهونني يبتعدون عني، وأمام وجهي لم يمسكوا عن البسق؛ لأنه أطلق العنان وقهرني)[١].

**أيوب يستعطف ربه ولا مجيب:**

لم يجد أيوب أمام كل هذا القهر والاضطهاد الذي لاقاه من ربه سوى أن يحاول استعطافه، واستمالته لكي يكف عنه، ولكنه لم يلق من الله إلا الجحود والنكران (إليك أصرخ فما تستجيب لي أقوم فما تنتبه إليَّ، تحوَّلت إلى جافٍ من نحوي بقدرة يدك تضطهدني)[٢].

ورغم هذا التجاهل الذي قوبل به أيوب من إلهه فإنه استمر في رجاء الخير، ولكنه لم يلق إلا الشر، وأصبح ذليلاً (حيثما ترجيت الخير جاء الشر، وانتظرت النور فجاء الدجى، أمعائي تغلي ولا تكف، تقدَّمتني أيام المذلة)[٣].

---

(١) سفر أيوب - فصل ٣٠ - عدد ١٠ .

(٢) سفر أيوب - فصل ٣٠ - عدد ٢٠، ٢١ .

(٣) سفر أيوب - فصل ٣٠ - عدد ٢٦، ٢٧.

**نتائج تصرفات الله على أيوب:**

كان لمواقف الله المتعنتة مع أيوب أسوأ الآثار عليه حتى إنه لعن الدهر، واليوم الذي ولد فيه.

ومن التفسيرات اليهودية لأسباب هذا التعنت الإلهي تجاه أيوب أن جميع ما نزل بأيوب كان يستحقه لذنوب، وآثام كانت قد وقعت منه بدليل ما ورد في وصف أيوب (أليس شرك جسيمًا، وآثامك لا نهاية لها)[١].

والحق أن مثل هذا التشويه المتعمد للأنبياء كان محل نقض من العلماء منذ القدم، وقبل الإسلام كان ثيودور المبسوستيائي[٢] يقول إن سفر أيوب ما هو إلا قصيدة مأخوذة من مصادر وثنية مع شيء من التعديل[٣].

**صورة يوسف عليه السلام في القرآن:**

من المعروف أن امرأة العزيز كانت قد طلبت من يوسف أن يزني بها، ولكن يوسف استعاذ بالله من أن يفعل الفاحشة، وذكَّرها وذكَّر نفسه بأن زوجها كان قد أكرمه، وأحسن مثواه، ولكنها أصرت على موقفها، وهمت أن تدفعه بكل وسائل الإغراء المختلفة ليواقعها، أما هو فقد تأبى عليها كما جاء في الآيات ﴿**وروادته التي هو في بيتها عن نفسه، وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن**

(١) سفر أيوب - فصل ٢٢ - عدد ٥ .

(٢) من أساتذة نسطور يوس الذي ينتسب إليه طائفة النساطرة، ويصفه ول ديورانت بأنه كاد أن يبتدع النقد الأعلى للكتاب المقدس.

(٣) قصة الحضارة: ول ديورانت - مكتبة الأسرة - م٦ - ج١٢ - ترجمة محمد بدران - ٢٠٠١م - ص١٠٠.

**مثواي إنه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾**[١].

والناظر في الآيات القرآنية لا يجد مشكلة في العلم بأن ما همت به امرأة العزيز كان إغراء المرأة ليوسف، وهي قد اعترفت بذلك ﴿**ولقد روادته عن نفسه فاستعصم﴾**[٢].

وبعد أن لم تفلح وسائل الإغراء والترغيب لم تجد طريقًا آخر سوى الترهيب خاصة بعد أن كان قد افتضح أمرها، وتحدثت نساء المدينة عنها مستنكرين فعلتها، فأرادت امرأة العزيز أن تثبت لهن أن جمال يوسف كان فوق احتمال النساء، فجعلته يخرج عليهن، بعد أن أعطت كل واحدة منهن سكينا، ودون أن يشعرن قطعن أيديهن، وقلن: ﴿**حاش لله ما هذا بشر إن هذا إلا ملك كريم﴾**[٣].

واعتبرت امرأة العزيز أن هذا أبلغ اعتذار عن ما كانت قد أقدمت عليه بل إنها استنكرت ما كان قد لاموها عليه.

ويبدو أن النساء فيما بينهن يكن أكثر جرأة في التعبير عن خلجات أنفسهن من الرجال خاصة حين تفتضح الأمور؛ حيث توعدت امرأة العزيز يوسف صراحة بإنزال العقاب به إن لم يجب طلبها، وهاك بعضًا مما ورد في القرآن عن هذه الواقعة ﴿**وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين، فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن،**

---

(١) سورة يوسف، آية: ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة يوسف، آية: ٣٢ .

(٣) سورة يوسف، آية: ٣١.

**وأعتدت لهن متكئا، وآتت كل واحدة منهن سكينا، وقالت اخرج عليهن، فلما رأيه أكبرنه، وقطعن أيديهن، وقلن حاش لله ما هذا بشر إن هذا إلا ملك كريم. قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم، ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكوناً من الصاغرين﴾**[1].

والذي يهمنا أن يوسف لم يعزم، أو يقصد إلى المعصية بل لوهم بمعصية - وهو ما نبرئ منه يوسف - ثم تراجع عنها فعندنا في الإسلام أن من هم إلى فعل حسنه، ولم يفعلها كتبت له حسنة، وكذلك من هم بفعل سيئة ولم يعملها كتبت له حسنة[2]، فعلى كلا الحالين فإن يوسف مثاب عند الله.

---

(١) سورة يوسف، آية: ٣٠-٣٢.

(٢) ورد في صحيح مسلم: حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا عبد الوارث عن الجعد أبي عثمان حدثنا أبو رجاء العطاردي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: «**ثم إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة**».

صحيح مسلم - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ج١ - باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب - حديث رقم ١٣١ - ص١١٨.

وورد في صحيح البخاري: حدثنا أبو معمر عبد الوارث حدثنا جعد أبو عثمان حدثنا أبو رجاء العطاردي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: ثم قال: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها وعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثير، ومن هم بسيئة كتبها الله له سيئة واحدة**». صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي - تحقيق: د. مصطفى ديب البغا - دار ابن كثير - اليمامة - ببيروت - ط٣ - ج٥ - باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك - حديث رقم ٦١٢٦ - ص٢٣٨٠.

ومن الممكن أن يكون ما ورد في الآيات من أن امرأة العزيز همت بيوسف، وهو هم بها جاء على سبيل المشاكلة؛ مثل قولنا: (هل جزاء سيئة إلا سيئة مثلها). رغم أن الله حين يعاقب العاصي فهذا من الأفعال الطيبة وليس السيئة، وكذلك يوسف - ولله المثل الأعلى - سمى الله ما أراده يوسف من معاقبة امرأة العزيز على إصرارها على أن يفعل الفاحشة معها همًّا، أما البرهان الذي منعها من تحقيق مراده فهو أنه ربما يكون قد هم أن يعاقبها عقابًا شديدًا، وخارجًا عن الحد لولا أن رأى برهان ربه، وهو العدل الذي يمنع من مجاوزة الحد في العقوبة.

من كل ما سبق يتضح لنا أن ما همت به امرأة العزيز كان دعوة صريحة للزنا، أما ما هم به يوسف تجاه هذه الإغراءات الأنثوية فقد يكون الرغبة الفطرية، والشهوة الطبيعية التي تتحرك في نفوس الرجال تجاه النساء، فما بالك لو كانت هذه الأنثى امرأة ملك لا ريب أنها على قدر عال من الجمال، ناهيك عن إمكانياتها المادية التي تساعدها على امتلاك وسائل الرفاهية من عطور غالية، وملابس مزركشة، ولآلئ ثمينة، وكل هذا يحقق لها نضرة نعيم تظهر أكثر ما تظهر في بريق عينيها، فكان من الطبيعي أن تتحرك مشاعر يوسف، وهو في عنفوان شبابه تجاهها، ولو قلنا غير ذلك لسلبنا عنه رجولته، ولاتهمناه بالبرود، ولما كان في امتناعه عن الفاحشة أي ميزة خلقية حباه الله بها، والنتيجة هي أن يوسف كان قد أحسن حين لم يقع في الرذيلة، وأما البرهان الذي ساعده على ذلك هو ما حبى الله به أنبياءه من العفاف، وصيانة النفس عن الأرجاس، ومعرفته تحريم الله تعالى للزنا، وما يقع على الزاني من العقاب في الدنيا والآخرة [1].

(١) عصمة الأنبياء: فخر الدين الرازي - ص٦٠.

والحق أنه تبقى مشكلة في إخوة يوسف لا أجد لها حلاً، وهي أنه ثبتت نبوتهم في القرآن، ومع ذلك فإنهم ارتكبوا الكبيرة بإلقاء أخيهم يوسف في الجب، ثم الكذب على أبيهم بعد ذلك. نعم إنهم فعلوا ذلك قبل النبوة، ولكن ارتكاب الأنبياء للكبائر قبل النبوة ليس مقبولا لدى جمهور العلماء، ولم يجزه إلا بعض المتكلمين، فقد أجازه أكثر الأشاعرة كالبلاقني (ت٤٠٣هـ) والآمدي (ت٦٣١هـ)، وكثير من المعتزلة[١]، والسبب في رفض الجمهور لارتكاب الأنبياء الكبائر قبل النبوة أنه قد ينفر الناس عينهم حال نبوتهم.

وعلى كل الأحوال فإن القصة القرآنية أظهرت الجانب الإنساني لدى إخوة يوسف أكثر من الرواية التوراتية؛ فالقصة القرآنية أظهرت أن إخوة يوسف اتفقوا في النهاية إلى إلقاء أخيهم في الجب؛ ليلتقطه بعض السيارة بعد تراجعهم عن قتله؛ لتحرك ضميرهم الديني الذي منعهم من ذلك، وكان هدفهم بعد ذلك أن يصبحوا قوما صالحين.

أما الرواية التوارتية فأظهرت تبلد المشاعر، وغلبت الروح المادية على إخوة يوسف، فهم بعد أن ألقوه في البئر نراهم كانوا قد جلسوا سويًا؛ لتناول الطعام في تبلد رهيب للمشاعر الإنسانية فضل عن الأخوية، ثم حين رأوا قافلة من الإسماعيلية قادمة غلبت عليهم الروح المادية فأسرعوا ببيع أخيهم حتى يستفيدوا من الموقف إلى أقصى درجة ممكنة خاصة بعد اقتناعهم بنصيحة أخيهم يهوذا من أنه لا فائدة تعود عليهم من قتل يوسف، ولكن ستتحقق الفائدة من وراء بيعه[٢].

---

(١) أبكار الأفكار: الآمدي - ج٤ - ص١٤٣ .

(٢) سفر التكوين فصل ٣٧ - عدد ٢٦، ٢٧ (فقال يهوذا لإخوته ما الفائدة أن نقتل أخانا، ونخفي دمه، تعالوا فنبيعه للإسماعيليين).

وهذا يدفعنا إلى إجراء مقارنة لقصة نبي الله يوسف بين القرآن والتوراه.

**قصة يوسف عليه السلام بين القرآن والتوراة:**

يستطيع الذي يقارن بين الرواية القرآنية والرواية التوراتية أن يلمح بعضًا من الفروق، التي رصدها ببراعة العلامة مالك بن نبي، فالرواية القرآنية تهتم بوضع القصة في إطار الظاهرة الدينية بينما تضعها الرواية التوراتية في الإطار العائلي.

ومن خلال هذا الاختلاف الواضح تفردت القصة القرآنية بالعديد من الملامح التي أكدت تدخل إرادة الله بصورة أكثر من القصة التوراتية، وأصبح النبي يوسف يتحدث أكثر، ويظهر المناخ الروحي والديني بشكل واضح وجلي في القرآن؛ ومن ثم كانت شخصية يوسف النبي أكثر ظهورًا في القرآن؛ حيث حرص وهو في السجن سواء مع صاحبيه أو السجان أن يؤدي رسالته النبوية إلى كل نفس يرجو توبتها.

كما اهتم القرآن بإظهار العدالة التي تردُّ اعتبار هذا النبي الكريم، وهو الهدف الرئيسي من سرد أحداث القصة؛ وكان ذلك باعتراف امراة العزيز بأنها هي التي روادته عن نفسه، وجاء اعترافها بلغة مفصحة بألم الضمير والشعور بالندم، ثم توج كل ذلك بثقة الملك فيه، وجعله أمينًا على خزائن مصر ﴿**قال إنك لدينا اليوم مكين أمين، قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم**﴾[1].

بينما كان هدف القصة التوراتية هو إبراز الناحية السياسية التي لعبها يوسف[2]، ولم تظهر عليه آثار النبوة فهو يهدد إخوته باتهامهم بالجاسوسية إن لم

---

(١) سورة يوسف، آية: ٥٤، ٥٥ .

(٢) مشكلات الحضارة (الظاهرة القرآنية): مالك بن نبي - ترجمة د. عبد الصبور شاهين - دار الفكر - بيروت - دمشق - ط٤ - ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م - ص٢٥٠: ٢٥٢.

يحضروا له بنيامين أخاه الشقيق، ويؤكد تهديده بالحلف بحياة فرعون، بل إنه يحبس إخوته ثلاثة أيام للضغط عليهم[١].

وعندما حضر بنيامين فإن يوسف لم يكن عادلاً في معاملة إخوته؛ حيث قدم لبنيامين طعامًا يساوي خمسة أضعاف ما قدمه من طعام لإخوته مجتمعين[٢].

أما يوسف في القرآن فقد آتاه الله العلم والحكمة، واجتباه ربه، وكان من الشاكرين المحسنين، ويكفيه أن القرآن ألصق به وصفًا اشتهر به وهو يوسف الصديق.

وبما أن موسى عليه السلام هو أهم شخصيات التوراه حتى أن الديانة اليهودية عرفت بالديانة الموسوية فإننا نحاول أن نعقد مقارنة لأهم ما ورد عن هذا النبي في كل من القرآن والتوراة.

**أهم صفات موسى في القرآن:**

تحلى نبي الله موسى بصفات كريمة كغيره من الأنبياء، وكان قد كافأه الله على هذه الصفات، ويتضح ذلك فيما يلي:

**موسى كليم الله:**

من الصفات التي التصقت بموسى عليه السلام، والتي إذا ذكر موسى غالبًا ما تذكر هذه الصفة عند المسلمين، وهي أن موسى كليم الله، فيقال كليم الله موسى، أو موسى كليم الله، أو موسى الكليم... إلخ.

---

(١) سفر التكوين صح ٤٢ - عدد ١٦، ١٧ (أرسلوا منكم واحدا ليجيء بأخيكم وأنتم تحبسون فيمتحن كلامكم عندكم صدق وإلا فوحياة فرعون إنكم لجواسيس فجمعهم إلى حبس ثلاثة أيام).

(٢) سفر التكوين صح ٤٣ - عدد ٣٤ (فكانت حصة بنيامين أكثر من حصصهم جميعهم خمسة أضعاف).

وذلك لأن القرآن الكريم لم يكتف بذكر هذه الصفة الجليلة بل كان يؤكدها **﴿وكلم الله موسى تكليما﴾**[١].

ولا شك أن هذا الاصطفاء الإلهي لموسى كان يستدعي منه أن يشكر نعمة الله عليه: **﴿قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين﴾**[٢].

**موسى مستجاب الدعوة:**

كان موسى عليه السلام مستجاب الدعاء لدرجة أن بني إسرائيل كانوا يلجأون إليه إذا وقعت بهم مصيبة، لكي يدعو ربه، فيستجيب له في رفع العذاب، الذي حل بهم فيقول عز وجل: **﴿ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون﴾**[٣].

فالآية الكريمة توضح أنه لما حل ببني إسرائيل العذاب سواء أكان الطاعون[٤]، أم كان القمَّل أو الجراد[٥]، الذي كان قد سلطه الله على زرعهم فأتلفه، فإنه حين طلب اليهود من موسى أن يرفع عنهم هذا البلاء، واستجاب الله لموسى، ورغم ذلك فإنه طبقًا لطبيعة اليهود المعروفة نراهم قد نقضوا عهدهم الذي عاهدوا

---

(١) سورة النساء، آية: ١٦٤.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٤٤.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٣٤، ١٣٥ .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - تفسير الآية رقم ١٣٤ من سورة الأعراف م٦ - ص١٥٤.

(٥) المصدر السابق: تفسير الآية ١٣٤ من سورة الأعراف م٦ - ص٥٥.

موسى عليه السلام[١]، واستمروا في كفرهم، وضلالهم.

وكذلك استجاب الله لموسى دعاءه حين كان بنو إسرائيل في أحلك الظروف التي مرت بهم، فبعد أن انقسموا إلى اثنتي عشرة فرقة، وأصابهم الله تعالى بالتيه، وألم بهم العطش الشديد، فطلبوا من موسى أن يسقيهم الماء لكي يرووا ظمأهم، فضرب موسى عليه السلام الحجر بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، وكان لكل سبط من أسباط بني إسرائيل مكانه في الماء الذي يشرب منه بحيث لا يدخل سبط على سبط آخر[٢]، ونزلت عليهم أرزاق وفيرة، وهذا ما توضحه الآية الكريمة **﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم، وظللنا عليهم الغمام، وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾**[٣].

وكذلك بعد أن فقد موسى الأمل في فرعون وأتباعه أن يؤمنوا بالله، ولكن فرعون غره ملكه وأمواله، وأمام هذا الموقف المتجبر من فرعون اضطر موسى أن يدعو على فرعون، وقومه بإهلاك أموالهم[٤]، وأن يحل بهم العذاب الأليم **﴿وقال موسى ربنا إنك أتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك، ربنا اطمس عليهم أموالهم، واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾**[٥].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: تفسير الآية رقم ١٣٥ من سورة الأعراف م٦ - ص٥٦ .

(٢) المصدر السابق: تفسير الآية رقم ١٦٠ من سورة الأعراف م٦ - ص١٢٠ .

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٦٠ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي تفسير الآية رقم٨٨ من سورة يونس - م٦ - ص٢٣٩.

(٥) سورة يونس، آية: ٨٨ .

وبالفعل قد أجاب الله لموسى دعوته، وأغرق فرعون وجنوده، وهلكت أموالهم وزروعهم[١]، فقال تعالى: ﴿**قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون**﴾[٢].

والحق أقول إن المتتبع لموسى عليه السلام في القرآن يجد أن الله لم يخيب له طلبا، فكان دائما يستجيب لدعائه لدرجة أنه حين طلب من الله تعالى أن يشرح صدره، وييسر له أمره، ويحلل له عقد لسانه، ليفهمه قومه، ويساعده بها دون أخيه أجابه الله مباشرة، وقال: ﴿**قد أوتيت سؤلك يا موسى**﴾[٣].

**موسى المقرب لله الصابر والداعي إلى الصبر:**

استخلص الله عز وجل موسى لنفسه، وقرّبه تعالى إليه، فقال: ﴿**واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصًا، وكان رسولاً نبيا، وناديناه من جانب الطور الأيمن، وقرَّبناه نجيا**﴾[٤].

أما صفة الصبر، وإن كانت من الصفات المستحسنة فإن اتصاف موسى بها يزيد موسى حسنًا؛ لأسباب عديدة من أهمها ما عرف عن بني إسرائيل من العناد، والمراوغة، فكانوا بحاجة ملحة إلى نوع خاص من الصبر، وكذلك حياة موسى المليئة بالجهاد، والاختبارات تجعله يحتاج إلى مزيد من الصبر، وهو ما تحلى به موسى بل أكثر من ذلك فإنه كان يدعو بني إسرائيل إلى هذه الفضيلة:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي م ٦ - ص٢٣٩.

(٢) سورة يونس، آية: ٨٩ .

(٣) سورة طه، آية: ٣٦ .

(٤) سورة مريم، آية: ٥١، ٥٢ .

**﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين﴾**[١].

ونكتفي بهذا القدر من صفات موسى عليه السلام الذي حباه الله بالعديد من الآيات والمعجزات، كقلب العصا حية تسعى، وانشقاق البحر بل القائه في اليم، وهو رضيع ولا يصيبه أذى.

هذا عن صفات موسى في القرآن، فماذا عن صفاته في التوراة؟

**أهم صفات موسى في التوراة:**

تصف التوراه موسى بأنه أعظم أنبياء بني إسرائيل الذي لم يأت نبي مثله، ومع ذلك فقد ألصقت التوراه بموسى صفات يندى لها الجبين نذكر منها:

**موسى العنصري القاتل:**

إذا كان اليهود يتصفون بالعنصرية فذلك يحط من قدر الشعب اليهودي، ولكن أن يتصف نبي مثل موسى بالعنصرية الشديدة حتى يقتل فلا عار ولا أشنع من ذلك، وهاك النص الذي يذكر أن موسى كان قد رأى (رجلاً مصريًا يضرب رجلا عبرانيا من إخوته، فالتفت إلى هنا وهناك، ورأى أنه ليس أحد فقتل المصري، وطمره في الرمل)[٢].

ونلحظ عنصرية موسى التي تظهر أنه بمجرد أن رأى المعركة بين المصري والعبراني، فإنه لم يحاول أن يتقصى الحقيقة أو يتبين أسباب المشكلة ليحلها، ولكنه التفت بسرعة إلى ما حول مكان المعركة، وحينما لم يجد أحدًا لم يتردد في قتل المصري

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨ .

(٢) سفر الخروج - فصل ٢ - عدد ١١، ١٢ .

بأقصى سرعة؛ لأن الفاء التي ترددت في القصة التوراتية (فالتفت - فقتل) تدل على السرعة والتعقيب.

كما تظهر هذه الحادثة أن موسى كان متدربًا على إخفاء جرائم القتل، فأخفى المصري بسرعة في الرمل؛ ولذلك نراه كان أكثر حنكة من قابيل الذي قتل أخاه هابيل، ولم يعرف كيف يتصرف في الجثة لولا أنه رأى الغراب يقوم بعملية دفن غراب آخر كان قد مات.

**موسى يتهم ربه بالإساءة وفعل الشر:**

إن سمات شخصية موسى كما تظهرها التوراه تتصف بأنها قلقة، ومندفعة، وسريعة التقلب، كما لا تتحلى بالصبر المطلوب من الأنبياء؛ ولذلك فإنه كان يتهم الله تعالى بأنه منذ أن أرسله لبني إسرائيل لم يتوقف الشعب الإسرائيلي عن الإساءة لموسى نتيجة إساءة الله لبني إسرائيل، مما دفع موسى أن يسأل ربه (لماذا أرسلتني؟)[1] وأكثر من ذلك فإن موسى يتهم ربه بأنه أراد الشر باليهود حين أخرجهم من مصر لدرجة أن المصريين اتهموه بأنه قصد بطريقة خبيثة أن يقتل اليهودي في الجبال، ويفنيهم من على وجه الأرض، ويزداد تطاول موسى فيطلب من الله أن يبدي الندم على فعل الشر ببني إسرائيل، وكان المفاجأة (فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه)[2].

---

(١) سفر الخروج - فصل٥ - عدد ٢٢، ٢٣ (فرجع موسى إلى الرب، وقال يا سيد لماذا أسأت إلى هذا الشعب؟! لماذا أرسلتني؟! فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم باسمك أساء إلي هذا الشعب، وأنت لم تخلص شعبك).

(٢) انظر سفر الخروج - فصل ٣٢ - عدد ١٤.

**موسى الخائن:**

اتهم الله تعالى موسى، وأخاه هارون بالخيانة؛ لأنهما لم يقدساه في وسط بني إسرائيل، وحدد الله لموسى المكان الذي خانه فيه هو وهارون، فقال: (خنتماني في وسط بني إسرائيل عند ماء مريبة قادِش في برية صين إذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل)[١].

وكان جزاء موسى أن حكم الله عليه بالموت دون أن يستطيع دخول أرض كنعان رغم أنها كانت على مرمى بصره.

**موسى يقوم بالإبادة الجماعة:**

لا ريب أن جذور الإرهاب الصهيوني الذي نشاهده يقوم بأبشع عمليات التطهير العرقي، والإبادة الجماعية للفلسطينيين تجدد مبررها في الأصول التوراتية، فهاهو موسى يأمر بعد عودته من الجبل بقتل اليهود الذين عبدوا العجل، فقال لبني لاوي: «هكذا قال الرب إله إسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه أو مرّوا وارجعوا من باب إلى باب في المحلة، واقتلوا كل واحد أخاه، وكل واحد صاحبه، وكل واحد قريبه، ففعل بني لاوي بحسب قول موسى، ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل»[٢].

---

(١) سفر التثنية - فصل ٣٢ - عدد ٥١ .

(٢) سفر الخروج - فصل ٣٢ - عدد ٢٧، ٢٨ .

وهكذا نرى أنه في ذلك اليوم كان قد تم قتل ثلاثة آلاف رجل اختيروا بطريقة عشوائية لامتصاص غضب موسى الذي كان قد شعر بالمهانة؛ لأن الشعب تنكر له بسرعة غريبة[١].

(١) الأصولية اليهودية: إيمانويل هيمان - ترجمة: سعد الطويل- الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٨م - ص٣٢.

## الخاتمة

بعد هذه الدراسة حول عصمة الأنبياء في الأديان الثلاثة نستطيع أن نقول إن القدر المتفق عليه بين المسلمين بمختلف مذاهبهم هو أن الأنبياء معصومون عن الخطأ أو السهو والنسيان في التبليغ عن الله عز وجل، وهذا هو مقصود الإسلام، وهو أيضا ما يهم المسلم في حياته، بالإضافة إلى أنهم مُثُلٌ عليا يجب أن يقتدى بهم الناس في كل سلوكياتهم أما في اليهودية والنصرانية فإن الأنبياء يرتكبون جميع الفواحش بمختلف أنواعها من سرقة، ونهب، وكذب، وخداع، وزنا... إلخ.

ومثل هذه الصفات لا ريب أنها تشكلت في أمرين مهمين من أمور الدين:

أولهما في الاختيار الإلهي لهم بوصفهم أنبياء. والثاني في أنهم يصلحون أسوة للبشرية أو الإنسانية.

والحق أن مثل هذه الصورة المخزية للأنبياء لدى أهل الكتاب ليست غريبة إذا عرفنا أن الإله نفسه يعتريه النقص، فهو لا يطلب من البشر أن يظنوا أنه عالم بكل شيء، لدرجة أنه يطلب من اليهود أن يرشوا على بيوتهم دماء الكباش حتى يتفادى هلاك أبنائهم من غير علم، أو قصد منه أثناء إهلاكه لأبناء المصريين.

كما أن هذا الإله غير معصوم من الخطأ، فكان أشنع ما وقع فيه من الأخطاء هو خلق الإنسان، حتى أنه يندم - حيث لا ينفع الندم - على خلقه آدم، وكذلك رضائه أن يصبح شاؤل ملكًا، كما أنه يبارك الغدر والخداع الذي كان قد قام به يعقوب عند ما انتقم من لابان، والخلاصة أنه إله شره متعطش للدماء.

فإذا كانت هذه هي صورة الإله عند أهل الكتاب فلا تستغرب عزيزي القارئ من أخلاق الأنبياء كما وردت في العهد القديم، الذي هو كتاب مقدس لدى كل من اليهود والنصارى.